المحاضرة الثانية: نبذة تاريخية عن صعوبات التعلم

تقديم: مر مصطلح صعوبات التعلم بعدة مراحل ليصل إلى هذه التسمية، كون ذوي صعوبات التعلم لم يكونوا معروفين من قبل كغيرهم من ذوي الحاجات الأخرى. فقد كان يوصف وصفا طبيا، واهتم به الأطباء وفسروه تفسيرات مختلفة تتفق على الاصابة في المخ أو الجهاز العصبي أو مناطق مختلفة، قبل أن ينتقل إلى المجال التربوي ويأخذ مكانته الحقيقية، ومنه تم الاتفاق بين المختصين على مصطلح 'صعوبات التعلم' وأصبح ضمن فئات التربية الخاصة.

1- التطورات المبكرة:

لقد كان موضوع الفروق الفردية في المجال العقلي وأسبابه قديم قدم الحضارة الإنسانية، غير أن بداية العمل الذي يتصل بصعوبات التعلم يمكن رده إلى ما ظهر في حقل الطب من اهتمامات علمية بوظائف الدماغ واضطراباته، خاصة مفهوم (الحبسة اللغوية Aphasie) وهي عدم القدرة على التعبير بالكلام أو الكتابة نتيجة لتلف في الدماغ. بحيث تعود بداية الدراسات التي تناولت اضطراب القراءة إلى الطبيب الألماني (شميت Shmidt) الذي كتب تقريرا سنة 1676 عن شخص فقد القدرة على القراءة نتيجة جلطة دماغية حادة أضرت بالمناطق المسؤولة عن القراءة في المخ، وقد أيده في ذلك مواطنه (جال Gall).

وقد توالت الدراسات إلى أن ظهرت على مدى القرن 19 دراسات عيادية متعددة لاضطرابات الكلام أهمها دراسات الفرنسي (بروكا Broca) والألماني (فيرنكه Wernike) في عام 1870 تستهدف إصابة أشخاص بفقدان القدرة على الكلام بعدما كانوا يتكلمون في السابق، والسبب يرجع إلى إصابة منطقة في الفص الأمامي الأيسر من الدماغ التي تسمى منطقة – بروكا– بجانب منطقة الدماغ المسؤولة عن تنسيق حركات اللسان والشفاه وسقف الحلق والأوتار الصوتية، وانتهى (فيرنكه) إلى تحديد منطقة سميت باسمه تقع في الفص الصدغي الأيسر، وظيفتها فهم الكلام واستيعابه، وترتبط هاتان المنطقتان ببعضهما البعض. وبعد ذلك استخدم الطبيب الألماني (برلين Berlin) في عام 1877 مصطلح "عمى الكلمة" و(صمم الكلمة) للدلالة عن صعوبة القراءة المكتسبة لدى بعض المرضى بالرغم من ذكائهم المتوسط وسلامة حواسهم، وتعد هذه المسألة نقطة التحول في البحث في صعوبة القراءة عندما فسرها كحبسة استقبالية، ما جعل (برلين) يدخل مصطلحا جديدا هو "الديسلكسيا" ورأى أنه أفضل وصف لصعوبة القراءة لإشارته إلى أساس عصبي. وفي عام 1892 ميز الطبيب الفرنسي "ديجارين" Dégerine نمطين من عمى الكلمة أولهما: يكون مقترنا بصعوبة الكتابة، والثاني: لا تتأثر به القدرة على الكتابة والتهجئة الآلية لعدم إصابة المناطق الدماغية المسؤولة

عن هاتين الوظيفتين. وعني بعد ذلك كثيرا من الأطباء الإنجليز من بينهم (كير Kerr) بصفته طبيب مدرسة الذي استخدم مصطلح (عمى الكلمة لدى الأطفال**) (** عمى الكلمة أو عمى القراءة Alexia هي حالة عصبية تعوق صاحبها عن قراءة الكلمات المطبوعة أو المكتوبة بعد أن كان يستطيع ذلك من قبل) (**حامد عبد السلام زهران، 1987، ص72**). wouh blundess في عام 1896 وتبعه (مورغان Morgan) (بعمى الكلمة الخلقي) لدى أحد الأطفال الذي كان يتصف بالذكاء وسرعة الأداء في الألعاب ولم يكن يقل عن مستوى زملائه سوى بالقدرة على القراءة. غير أن طبيب العيون(هنشلود Hinshelwood) الذي يعد أشهر باحث في زمانه في مجال (عمى الكلمة) بداية من عام 1895 وامتدت أبحاثه 25 سنة، وقد قام بالإضافة إلى أعماله في مجال فقد الوظائف العقلية لدى الراشدين بفحص حالات الأطفال الذين يعانون صعوبات حادة في اكتساب مهارة القراءة دون أن تتأثر مهارات عقلية أخرى كالقدرة عل الكلام واكتساب المعرفة، وردها إلى تلف يصيب التلفيف الزاوي وهو منطقة الذاكرة البصرية في نصف الدماغ الأيسر مسؤولة عن تخزين صور الحروف والكلمات المقروءة، مستبعدا ضعف النظر أو نقص القدرة على الكلام كعامل مسبب لهذه المشكلات، وقد ميز بين (الديسلكسيا Dyslexia) و(الألكسيا Alexia). وقد أوصى (هنشلود) بأن لا يعامل مثل هؤلاء الأطفال معاملة ضعاف العقول، وأخذ يقدم توصيات للمساعدة والمعالجة منها، تفريد التعليم واستخدام الطرق التعددية لتحسين الذاكرة البصرية وبدأ يؤيد القول بوراثة (الديسلكسيا).

وقد انتقل مجال البحث إلى الولايات المتحدة الأمريكية، ومن هؤلاء (كليبورن Claiborne) الذي اقترح عام 1906 مصطلح (كمش الكلمة Wor- damblyopia) وأوصى هو الآخر باستخدام الطريقة الكلية في التعليم التي ترتكز على التمييز البصري للكلمات وأشكالها، وتدريب الطفل على استعمال يده اليمنى إذا كان أعسرا.

أما طبيب العيون (جاكسون Jackson) فقد فسر (الأكسيا) بتخلف في التصور، وامتدح مزايا الطريقة التعددية للحواس، وبخاصة عندما تتضمن صنع الحروف من المعجون وقصها من الورق، على أن تتم المعالجة خارج الصف. أما (جولدستاين Goldstein) الذي كان يعالج الجنود في الحرب العالمية الثانية فقد لاحظ أن التلف الدماغي يؤثر على السلوك الفردي وأن هناك مميزات سلوكية منها عدم القدرة على إعطاء استجابة لبعض المنبهات الخارجية والخلل الإدراكي، والقابلية للتشتت والنشاط المفرط والوسوسة والتقلب الانفعالي، وقد فسر (باتشمان Bachman صعوبة القراءة بفكرة الخلقة النضجية maturational lag) الناتجة عن تأخر نضج بعض عناصر الجهاز العصبي أو إعاقة تعطل نمو الدماغ وفق الأنماط السوية (**راضي الوقفي، 2003، ص05**).

2- التطورات المباشرة:

استمرت التفسيرات الطبية السابقة حوالي أربعة عقود بين القرنين التاسع عشر والعشرين حول مصطلح (عمى الكلمة) التي تعتبر حلقة الانتقال إلى حركة صعوبات التعلم في التربية الخاصة. وعلى الرغم من اختلاف التفسيرات فقد مهدت الساحة لتوجه البحث في أمريكا بدءا من العقد الثالث من القرن العشرين كتطبيق للمكتشفات الطبية في دراسات عيادية تجرى على الأطفال، وتحليل أنماط معينة من اضطرابات التعلم، وقد حاولت التفسيرات الابتعاد عن التعابير الطبية والاهتمام بعوامل أخرى كالعوامل البيئية والتربوية.

فقد برز (أورتون Orton 1937) بحيث لاحظ أن الصعوبة تعود إلى تأخر أو فشل في تموضع اللغة في النصف الأيسر من الدماغ، وأكد أهمية القصور الوظيفي للمناطق البنيوية، ومثل هذه التوجه ما يزال منسجما مع النظرية الراهنة، وحث المربين على بذل جهودا لمساعدة هؤلاء الأطفال، وقد شهد عام 1949 قيام "جمعية أورتون للديسليكسا" تمجيدا لإسهاماته غير أن النشاط البحثي والعلمي الذي أدى بشكل مباشر إلى الظهور الرسمي لحقل صعوبات التعلم هو ما قام به عالم الأعصاب الألماني (ويرنر Werner) وعالم النفس التطوري ستراوس Strauss) حيث باشرا برنامجا في مدرسة (وين Wayne) للبحث في الأطفال ذوي الإصابات الدماغية وتدريبهم، فأكد أن القراءة صعوبة أكاديمية من الناحية المبدئية، لذلك فقد اتجهت أعمال (ويرنر و ستراوس) اتجاها غير اتجاه (هنشلود و أورتون) فبدأ أعمالهما بتشخيص مجموعة من الأطفال تختلف عن مجموعات التربية الخاصة الأخرى هي مجموعة الأطفال ذوي التلف الدماغي، وعن طريق المقارنة بين الأطفال الذين يفترض بأنهم يعانون من تلف دماغي في مدرسة (وين) والأطفال الأسوياء في نفس المدرسة يفترض أنهم لا يعانون من تلف دماغي، وصلا إلى استنتاج سبعة (07) مشكلات محددة لذوي التلف الدماغي، بحيث اعتبروها محكات أساسية: الربعة الأولى محكات سلوكية والثلاثة الأخيرة محكات بيولوجية وهي:

- الاضطرابات الإدراكية. - التلبث.- الاضطرابات المفهومية أو الفكرية. - الاضطرابات السلوكية. - إشارات عصبية طفيفة.- تاريخ من الاختلال العصبي. - لا تاريخ من التخلف العقلي في الأسرة.

وقد لاقت أعمال (ستراوس) ومساعديه ترحيبا واسعا لأنهم قدموا تشخيصا لهذه الفئة التي أطلقت عليها تسميات كثيرة منها: ذوي السلوك السيئ أو المضطربين انفعاليا أو الكسالى أو الحمقى أو المهملين، فوضعوا بذلك أساس حقل صعوبات التعلم، وأكدوا أن هؤلاء يحتاجون إلى تربية خاصة للتغلب على جوانب الضعف وقدموا نوعين من التدخل:

- معالجة العمليات التعليمية القاصرة (ذات طبيعة إدراكية).

- إجراء تعديلات تربوية.

بالإضافة إلى أعمال (كيفارت Kuverte) الذي تحدث عن تطوير المهارات الإدراكية كعلاج لهؤلاء الأطفال وسماهم (كليمنتز Clements 1966) (بذوي القصور الوظيفي الدماغي الطفيف) (**راضي الوقفي، 2003، ص10**).

3- ظهور مصطلح صعوبات التعلم:

خلال فترة 1930-1960 أستعمل عدد من المصطلحات لوصف مشاكل الأطفال الذين لا يندمجون في المدرسة، ومن أكثر هذه المصطلحات شيوعا في هذه الفترة (الحبسة Aphasie) أي فقدان القدرة على الكلام نتيجة أذى أصاب المخ أو اضطراب في اللغة أو عطب في المخ أو إعاقة إدراكية أو عصبية، وفي معظم الأحوال كانوا يرجعون أي من هذه الصعوبات إلى كونها صعوبات طبية حتى سنة 1963 عندما تحدث (صموئيل كيرك Kirk) في منظمة للآباء المهتمين بمشاكل الأطفال الخاصة بالإعاقة الإدراكية كما كان يشار إليها في ذلك الوقت في خطابه، فابتكر مصطلح "صعوبات التعلم" حيث وصفهم بأنهم الأطفال الذين لديهم اضطراب في نمو اللغة أو الكلام أو القراءة، وقد أوضح أنه لم يأخذ في الاعتبار الأطفال الذين لديهم إعاقة حركية شديدة (**مجدي عزيز ابراهيم، 2004، ص1151**).

قبل أن تعتمد تسمية صعوبات التعلم ساد الاعتقاد أن ذوي الصعوبات والبطيئين في التعلم يرجع قصورهم إلى عجز الاكتساب أو مشكلات في التعلم، لكن النقاش الذي ساد بين أولياء التلاميذ والسلطة المركزية في الولايات المتحدة الأمريكية أفضى إلى تقرير مهم بخصوص هذا الموضوع (**ابراهيم عباس الزهري، 2003، ص66**).

وقد كان رد الفعل سريعا ومؤهلا من قبل المهتمين بذوي الإعاقات، حيث غيرت المنظمة اسمها إلى – جمعية الأطفال الذين لديهم صعوبات التعلم – وأصبحت الحكومة الفدرالية في الولايات المتحدة الأمريكية مهتمة بهذا الموضوع، عندما أصبح واضحا أن عددا متزايدا من الأطفال قد تم تعريفهم بأنهم لديهم صعوبات في التعلم. وفي عام 1969 تم إصدار القانون العام رقم 230/91، والمعروف باسم قانون صعوبات التعلم الخاصة، ونجد أن ما حدث بعد ذلك لم يكن مسبوقا من قبل، فلم ينمو أي مجال بمثل هذه السرعة سابقا، ففي الثمانينات طور كل من (Dondeshler وJean Schumher) وطلابهم بمعهد كنساس لبحوث صعوبات التعلم نماذجا لاستراتيجيات التدخل تعتمد على بعض المداخل النظرية في التعامل مع ذوي صعوبات التعلم.

كما حدث تحول أخر هو شمول البرامج التي تقدم لذوي صعوبات التعلم، بحيث يضم جميع الأعمار، ويمكن القول أن التطورات التي لحقت بمجال صعوبات التعلم شملت الأهداف والأساليب والطرق والبرامج والأنشطة وقد

عكس هذا تحسنا ملحوظا ومطردا في مجال صعوبات التعلم خلال العقود الثلاثة الأخيرة من هذا القرن، فإن الكثير من قضاياه ومشكلاته مازالت تحتاج إلى مزيد من البحث والدراسة، وأكثر هذه القضايا إلحاحا هي قضايا الأطر النظرية والتعريفات التي تقوم عليها مجال صعوبات التعلم (**مجدي عزيز إبراهيم، 2004، ص1151**).

وعليه فقد لاقي هذا المصطلح قبولا وترحيبا عامين كمظلة تغطي أنماطا متعددة ومتنوعة من مشكلات التعلم، لكونه ذا مضمون تربوي، ولأنه يتجنب استخدام التعابير الطبية، ولأنه يحمل الأمل للآباء والمعلمين والطلاب بإمكانية تجاوز الصعوبة والخلاص منها أو التقليل من أثرها. بالرغم أن (كليمنتز Clements) قد قدم مصطلح "القصور الدماغي الوظيفي الطفيف" بعد هذا المصطلح بثلاثة سنوات، وقد كان حديث "كيرك" بمثابة حافز لكثيرين من الحضور في ذلك المساء على تكوين – جمعية الأطفال ذوي صعوبات التعلم – حيث أصبح تكوينها يحسب كبداية رسمية لظهور حقل صعوبات التعلم كحركة اجتماعية سياسية تربوية، ومع أن هذه الجمعية هي جمعية آباء، إلا أن هيئتها الاستشارية تكونت من (كيفارت وفروستيج ومايكلبست) وغيرهم من كبار المختصين في هذا الميدان، وقد حشدت هذه الجمعية مساندة القوى الاجتماعية للاعتراف بوجود هذه الفئة والعمل على تقديم الخدمة التربوية لأفرادها في المدارس، وإليها يعود الفضل في إصدار التشريعات التربوية لهذه الفئة (**راضي الوقفي، 2003، ص18**).

ويمكن اختصار مراحل تطور مجال صعوبات التعلم وأشهر العلماء المساهمين فيما يلي:

- 1802- جال (الحبسة).
- 1861 - بروكا (له باع كبير في وظائف المخ).
- 1896 - مورغان (مشكلات شديدة في القراءة).
- 1918 - هنشليود (عمى الكلمة).
- 1921- فيرشال (إستعمل أكثر من حاسة في التعليم).
- 1928 - اورتن (عكس الكلمة وعدم التمييز).
- 1933- ستراوس وليتين (الإدراك الحركي).
- 1946 - جلنجهان (عمى الكلمة).
- 1954- مايكلبست (اهتم بالصم).
- 1955- كيفارت (الإدراك الحركي).
- 1961- كيركشانك (الإصابة المخية).

- 1961 - كيرك (التخلف العصبي).

- 1962 - جمان (الإدراك الحركي).

- 1969- فروستيج (الإدراك البصري) (**رياض بدري مصطفي، 2005، ص20**).